المجلة العلمية
لكلية الدراسات الاقتصادية والعلوم السياسية



https://esalexu.journals.ekb.eg
دورية علمية محكمة
المجلد التاسع (العدد الثامن عشر، يوليو 2024)

محددات وأهداف السياسة الخارجية الإيرانية في الشرق الأوسط [1]

إسلام جمال المنسي
باحث العلوم السياسية
كلية الدراسات الاقتصادية والعلوم السياسية
جامعة الإسكندرية
eng.elmansy1988@gmail.com

(1) تم تقديم البحث في 2023/7/17، وتم قبوله للنشر في 2024/5/27.

الملخص

يرجع أصل تسمية الشرق الأوسط إلى القوى الاستعمارية، ونظرًا لأن دلالة هذه التسمية ما تزال مسألة خلافية فقد اختلفت أيضًا التعريفات التي أُطلقت على هذا المصطلح، والتي تباينت في تحديد المساحة الجغرافية المشمولة ضمنه رغم شيوع استخدامه بكثرة، ولا يزال استخدام المصطلح غير مستقر، لكنه يطلق غالبًا على الدول العربية، وإيران وتركيا وإسرائيل.

ويؤمن القادة الإيرانيون بصفة عامة بأن تاريخ دولتهم وموقعها الجغرافي الاستراتيجي، ورأسمالها البشري، ومواردها توجب عليها ممارسة دور مهم في تشكيل المنطقة لأنها منعدمة الاستقرار وعرضة لتدخلات القوى الأجنبية، وبالتالي يجب أن يكون توازن القوى الإقليمي في صالحها، وإلا سيكون بقاؤها وسلامة أراضيها في خطر.

وتحظى منطقتي الخليج العربي والهلال الخصيب بأهمية خاصة في الاستراتيجية الإقليمية الإيرانية، فمنطقة الخليج بالإضافة إلى أهميتها الجغرافية والاستراتيجية فإنها تحظى بأهمية اقتصادية بالغة، لثرواتها الهائلة من النفط والغاز الطبيعي، وتتطلع إيران إلى أن تصبح القوة الرئيسية فيها.

أما منطقة "الهلال الخصيب" فهي المنطقة التي تشمل العراق وسوريا ولبنان والأردن وفلسطين، ونالت هذه المنطقة اهتمامًا كبيرًا في السياسة الخارجية الإيرانية منذ القدم فقد كانت مجالًا لتوسع الإمبراطوريات الفارسية القديمة، كما نالت اهتمامًا في العصر الحديث، فبجانب الأهمية الاقتصادية فهناك أسباب استراتيجية وسياسية تتمثل في كونها طريق إيران للبحر المتوسط مما يضمن لها عمقًا استراتيجيًا كبيرًا، وأسباب ديموغرافية تتمثل في وجود عدد كبير من الأقليات التي يمكن عن طريق استغلال وجودها إحداث توازن مع الكتلة العربية السنية.

الكلمات المفتاحية: الشرق الأوسط؛ السياسة الخارجية الإيرانية؛ الخليج العربي؛ الهلال الخصيب.

Determinants and objectives of Iranian foreign policy in the Middle East

Abstract

The origin of the name “Middle East” goes back to the colonial powers, and since the meaning of this name is still controversial, the definitions that were given to this term also differed, which varied in defining

the geographical area included within it despite its widespread use, but it often includes Arab countries, Iran, Turkey and Israel.

In general, Iranian leaders believe that the history of their country, its strategic geographical location, its human capital, and its resources oblige it to play an important role in shaping the region because it is unstable and vulnerable to the interventions of foreign powers, and therefore the regional balance of power must be in its favour, otherwise its survival and territorial integrity will be in danger.

The regions of the Arabian Gulf and the Fertile Crescent are of particular importance in Iran's regional strategy. The Gulf region, in addition to its geographical and strategic importance, is of great economic importance, due to its vast wealth of oil and natural gas, and Iran aspires to become the main power in it.

As for the "Fertile Crescent" region, it is the region that includes Iraq, Syria, Lebanon, Jordan and Palestine. This region has received great attention in Iranian foreign policy since ancient times. It was an area for the expansion of ancient Persian empires, as it has received interest in modern times. Besides the economic importance, there are strategic and political reasons. It is Iran's path to the Mediterranean, which guarantees it great strategic depth, and demographic reasons represented in the presence of a large number of minorities whose presence can be exploited to create a balance with the Sunni Arab bloc.

Keywords: Middle East; Iranian foreign policy; The Arabian Gulf; Fertile Crescent.

مقدمة

مع تصاعد الاهتمام الإقليمي والدولي بالتهديدات الناجمة عن التمدد الإيراني في منطقة الشرق الأوسط، تزداد الحاجة إلى دراسة أبعاد هذا المشروع الإقليمي، الذي أصبح جزءًا من المشهد العام في المنطقة، وبات منخرطًا في أزماتها بشكل غير مسبوق، إذ يقوم على انتقاص سيادة دول المنطقة عبر استغلال الخلافات المذهبية واستخدامها للتأثير في القرار السياسي لتلك الدول لخدمة أهداف السياسة الخارجية الإيرانية.

ومن هنا كان من الأهمية بمكان، دراسة السياسة الخارجية الإيرانية عن كثب، فالسياسة الخارجية لأي دولة تعبر عن مجمل توجهاتها تجاه الدول والفواعل الأخرى، وتمثل برنامج عمل هذه الدولة في المجال الخارجي.

وتهدف تلك الورقة إلى الوقوف على العوامل المؤثرة في تشكيل توجهات السياسة الخارجية لإيران والأهداف والمصالح التي تسعى إلى تحصيلها في منطقة الشرق الأوسط على وجه الخصوص، والتي نالت القدر الأكبر من الاهتمام الإيراني خلال السنوات الماضية، فطالما كانت منطقة الشرق الأوسط محط اهتمام القوى الإقليمية والدولية نظرًا لأهميتها عبر العصور، وهذه الأهمية جعلت المنطقة في دائرة الاهتمام الإيراني نظرًا للقرب الإقليمي منها، إذ يتعاظم تأثير المشروع الإيراني في المنطقة، ويتزايد تهديده لاستقرارها عبر استخدام أدوات التدخل المختلفة.

المشكلة البحثية

تتمثل المشكلة البحثية للدراسة في تساؤل رئيسي هو: **ما محددات وأهداف السياسة الخارجية الإيرانية في الشرق الأوسط؟**

ويتفرع من هذا التساؤل الرئيسي عدة تساؤلات فرعية لتهيئ لنا الطريق للوصول إلى الإجابة على هذا التساؤل الرئيسي للبحث، ومن أهمها:

- ما تعريف وحدود منطقة الشرق الأوسط؟
- ما موقع الشرق الأوسط في السياسة الخارجية الإيرانية؟
- ما أهمية منطقة الخليج العربي في الاستراتيجية الإيرانية؟
- ما أهمية منطقة الهلال الخصيب في الاستراتيجية الإيرانية؟

أهداف البحث

تتمثل أهداف الدراسة بداهة في الإجابة على جملة التساؤلات الرئيسية والفرعية بما يعني معرفة الأهمية التي تمثلها منطقة الشرق الأوسط بالنسبة للسياسة الخارجية الإيرانية، ويرتبط بذلك السعي إلى تحقيق عدد من الأهداف الفرعية على النحو التالي:

1. تعريف مصطلح الشرق الأوسط ودلالاته.
2. الوقوف على موقع منطقة الشرق الأوسط في مخططات السياسة الخارجية لإيران.
3. التعرف على الأسباب والدوافع المختلفة للاهتمام الإيراني بمنطقة الخليج العربي.

4. الوقوف على أسباب التدخلات الإيرانية في منطقة الهلال الخصيب وما تمثله من أهمية اقتصادية واستراتيجية وسياسية وديموغرافية بالنسبة للمشروع الإقليمي الإيراني.

منهج البحث

يعتمد البحث على التكامل بين المناهج المختلفة، حيث يتبنى:

- مدخل المصلحة القومية، إذ تشير في جوهرها إلى مجموع القيم الوطنية النابعة من الدولة، مما يجعلها هدفًا حقيقيًا تسعى الدول لإحرازه، ويجعل تحقيقها وتعزيزها غاية السياسة الخارجية للدولة.
- مدخل سياسات القوة، إذ تعد القوة أحد مقومات الدولة في تحقيق مصالحها، بل هي الوسيلة والأداة التي من خلالها تفرض الدولة مكانتها وهيبتها في إطار العلاقات الدولية، وامتلاك القوة يعد محور الارتكاز في تحديد مجرى العلاقات الدولية.

الدراسات السابقة

1- دراسة "المجالات الحيوية الشرق أوسطية في الاستراتيجية الإيرانية"

تدور الدراسة حول أهمية منطقة الشرق الأوسط بصفة عامة، وسبب أهميتها الكبيرة في التفكير الاستراتيجي الإيراني، وتتناول الأبعاد المختلفة للسياسة الخارجية الإيرانية، وموقع إيران من خريطة التنافس الإقليمي.

وتقع الدراسة في خمسة فصول، خُصص الفصل الأول للحديث عن مفهوم المجال الحيوي ومفهوم الشرق الأوسط، فيما خُصص الفصل الثاني للحديث عن عناصر القوة والضعف في جغرافيا هذه المنطقة من العالم، وتناول الفصل الثالث وسائل تحقيق المجال الحيوي الإيراني، بينما تناول الفصل الرابع مسألة المجالات الحيوية في الاستراتيجية الإيرانية، واختص الفصل الخامس بالحديث عن مستقبل الشرق الأوسط في ظل الصراعات الإقليمية والدولية.

وتعد الفصول الأربعة الأولى للدراسة مفيدة للباحث لكونها تقع في صلب موضوع الدراسة؛ أي السياسة الخارجية الإيرانية في الشرق الأوسط، كما تقدم عرضًا وتحليلًا لسياسات تطبيق المجال الحيوي في الشرق الأوسط وتم اتخاذ إيران كنموذج تطبيقي لهذه الدراسة التي ترصد النجاحات التي

حققتها الاستراتيجية الإيرانية في إدارة الصراع الجيوبوليتيكي الإقليمي وموقعها من خريطة التنافس الدولي والإقليمي على النفوذ في المنطقة.

2- The study of "Arab world and Iran"

يشرح الكتاب الدور الإيراني في منطقة الشرق الأوسط في فترة الربيع العربي وما تلاها، ويتكون الكتاب من 3 أجزاء، يتحدث الجزء الأول منها عن أحداث فترة الربيع العربي، ويتحدث الجزء الثاني عن دور الحركات الدينية في المنطقة، بينما خُصص الجزء الثالث لشرح الدور الإيراني في دول الشرق الأوسط وأهداف إيران التي تسعى لتحقيقها من خلال علاقاتها مع دول المنطقة.

ويعد الجزء الثالث الذي يتناول الدور الإيراني الإقليمي أكثر أجزاء الكتاب صلة بموضوع البحث الذي نحن بصدده، وتنبع أهمية هذه الدراسة من كونها تعمل على مساعدتنا على فهم طبيعة المصالح القومية الإيرانية فيما يتعلق بالمجال الإقليمي، وكذلك رصد محاولات إيران لتوظيف المتغيرات الإقليمية الجديدة في خدمة تلك المصالح.

3- "Iran's Foreign Policy After the Nuclear Agreement"The Study of

حاولت هذه الدراسة أن تبين الترابط بين ملفات عديدة في السياسة الخارجية الإيرانية، والتأثير المتبادل بين تلك المتغيرات، وتتكون الدراسة من تسعة فصول، ركز الفصل الأول على توجهات السياسة الخارجية الإيرانية لاسيما بعد توقيع خطة العمل الشاملة المشتركة أو ما يعرف بـ"الاتفاق النووي" بين طهران والمجموعة 5+1 عام 2015، وركز كل فصل من الفصول التالية على العلاقات الثنائية بين إيران من جهة وكل من الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا والاتحاد الأوروبي والعراق وسوريا والسعودية وتركيا وإسرائيل، على الترتيب.

وعليه فإن هذه الدراسة تساعد في تحديد ملامح استراتيجية السياسة الخارجية الإيرانية تجاه القوى الدولية والإقليمية، ورصد المستجدات التي طرأت على كلٍ من المشهد الإقليمي والدولي، وهو ما يفيد الباحث في دراسته هذه التي نحن بصددها.

4- دراسة "مقولات في الاستراتيجية الوطنية 'شرح نظرية أم القرى الشيعية'".

سعت الدراسة لشرح الأسس النظرية للمشروع الإقليمي الإيراني، وركزت على تبيين أبعاد المنطلقات العقائدية، ودور تلك المنطلقات في تشكيل توجهات السياسة الخارجية لإيران في العالمين العربي والإسلامي، وعلى الأخص جوارها الغربي الذي يعد مجال التوسع الإيراني التقليدي.

وأشارت الدراسة إلى أن السياسة الخارجية الإيرانية تجاه دول المشرق العربي تحكمها نظريات ترسخ لمفهوم ريادة إيران للعالم الإسلامي، وتعمل تلك السياسة في سبيل ترسيخ هذه القيادة بكل وسيلة ممكنة، وانتهت الدراسة إلى أن المصلحة القومية الإيرانية لا تنفك عن المشروع الإقليمي بأي حال، بل يعتبر السيطرة على المجال الحيوي من أهم أهداف السياسة الخارجية الإيرانية.

واستفاد الباحث من هذه الدراسة في رسم معالم المشروع الإقليمي الإيراني، وتحليل أبعاد العلاقة التي تربط بين النظام الإيراني وأنظمة الدول العربية التي تتدخل فيها إيران، وتوقع السلوك الإيراني المستقبلي في الإقليم.

5- دراسة "تأثير المتغيرات الداخلية والخارجية الايرانية على توجهات إيران الاقليمية (العلاقات الإيرانية – العربية: حالة دراسة)"

سعت الدراسة لرصد وتقييم تأثير المتغيرات الداخلية والخارجية الإيرانية على توجهات إيران الإقليمية، وركزت على بحث مسألة أثر المتغير الإقليمي لدى الجمهورية الإيرانية على ضوء العلاقات مع العالم العربي خاصةً مع دول مجلس التعاون الخليجي كحالة دراسة، وأشارت الدراسة إلى محاولات إيران لتعظيم دورها الإقليمي لا سيما في علاقاتها مع العالم العربي.

وانتهت الدراسة إلى وجود علاقة شبه ثابتة بين توجهات إيران في إيجاد دور إقليمي لها، وبين الحفاظ على تنمية علاقاتها المتعددة مع العالم العربي، وأنه كلما ازدادت الضغوط الدولية على إيران، أسهم ذلك في إعادة تقييم عملية تفاعلها مع الدول الإقليمية، واستفاد الباحث من هذه الدراسة في رصد طبيعة السلوك الإقليمي الإيراني والعوامل المؤثرة فيه.

6- دراسة "انتقام الجغرافيا"

تتميز هذه الدراسة بتركيزها على تأثير العوامل الجغرافية على السياسة الخارجية، إذ استفاضت في شرح علاقات التأثير والتأثر تاريخيًا بين إيران ومحيطها الجغرافي، ومدى علاقة ذلك

بالتطورات السياسية في عالم اليوم، وأشارت الدراسة إلى أن إيران استطاعت أن تبني إمبراطورية غير نمطية؛ إذ لا تعتمد على أساليب الغزو والاحتلال الإمبريالية التقليدية؛ بل على الحرب بالوكالة، والأسلحة غير المتماثلة، واكتساب تعاطف المضطهدين.

وانتهت الدراسة إلى أن إيران بموقعها وحجمها وعامل القوة التي تحظى بها اكتسبت وما تزال تحتفظ بالقدرة على التأثير في محيطها الجغرافي ومن المرجح أن تستمر تلك القدرة في المستقبل بغض النظر عن شكل نظامها أو طبيعة الأيديولوجية التي تحكمها، واستفاد الباحث من هذه الدراسة في رصد أهمية منطقة الشرق الأوسط بالنسبة لإيران جغرافيًا وتاريخيًّا.

7- The Study of "Iran Facing Others"

يتكون الكتاب من ثلاثة فصول تتمحور حول الشخصية القومية الإيرانية، ودور العامل الهوياتي في مسألة العلاقات بين إيران والدول المجاورة، وفصل رابع يتحدث عن مفهوم الحدود المسامية والهويات المختلطة، ويركز الباحث على هذا الفصل الذي يتحدث عن الحدود الشفافة وخرائط النفوذ الإيراني العابر للحدود في منطقة الشرق الأوسط، وموقع القوة الناعمة من السياسة الخارجية الإيرانية خاصةً في دول المنطقة، إذ يمثل هذا الفصل إضافة مهمة فيما يتعلق بمسألة استخدام إيران الأدوات الثقافية في نشر نفوذها في العالم العربي خاصةً في الدول التي تمارس فيها تدخلات واسعة كسوريا والعراق.

خطة البحث

ينقسم البحث إلى قسمين رئيسيين –فضلًا عن المقدمة– يتناولان على الترتيب: تعريف الشرق الأوسط، وأهمية الشرق الأوسط بالنسبة لإيران.

أولًا: تعريف الشرق الأوسط

يرجع أصل تسمية الشرق الأوسط إلى القوى الاستعمارية التي استخدمت هذا المصطلح للدلالة على المنطقة الواقعة ما بين شرق البحر المتوسط وجنوبه حتى منطقة الخليج العربي، ويشير المصطلح إلى الدول والحضارات في هذا النطاق الجغرافي، وهناك عدة تسميات أُطلقت على تلك المنطقة على غرار "الشرق القديم" أي المنطقة التي تضم حضارات العالم القديم الممتدة ما بين مصر

والأناضول وبلاد فارس، وكذلك مسمى "الشرق الأدنى" الذي أطلقه البريطانيون على أراضي الدولة العثمانية بامتدادها من البلقان إلى الجزيرة العربية (عطية، 2017، ص297).

وقد ظهرت تسمية "الشرق الأوسط" للمرة الأولى في عام 1902، على يد المؤرخ الأمريكي ألفريد ماهان، الذي أطلقه على النطاق الجغرافي الواقع بين الهند وشبه الجزيرة العربية، ويضم قلب هذا النظام مصر وفلسطين ولبنان وسوريا والأردن والعراق وشبه الجزيرة العربية، أما الأطراف فهي الدول المحيطة بهذا القلب سواء العربية منها أو غير العربية (العدوان، 2013، ص8).

ونظرًا لأن دلالة هذه التسمية ما تزال مسألة خلافية فإنه يجدر بنا أن نتطرق إلى التعريفات المختلفة التي أُطلقت على هذا المصطلح، والتي تباينت في تحديد المساحة الجغرافية المشمولة ضمن هذا الاصطلاح رغم شيوع استخدامه بكثرة، إذ كثيرًا ما يُنظر إلى الشرق الأوسط على أنه موقع لمسألة دولية وليس منطقة يمكن تحديدها جغرافيًا أو ثقافيًا (Yilmaz, 2012, p11).

وتعد التعريفات التالية من أكثر التعريفات شيوعًا لمصطلح الشرق الأوسط:

- **تعريف الأمم المتحدة:**

عرفت الأمم المتحدة الشرق الأوسط بأنه المنطقة الممتدة من ليبيا غربًا حتى إيران شرقًا ومن سوريا شمالًا حتى اليمن جنوبًا، لكن المنظمة في عام 1989 رأت أن هذا التعريف لا يفي بالهدف فعرفت المنطقة بأنها كل الدول الأعضاء في جامعة الدول العربية والتي تضم اثنتين وعشرين دولة، إلى جانب إيران وإسرائيل (الرحاحلة، 2014، ص24–25).

- **تعريف الوكالة الدولية للطاقة الذرية:**

عرفت الوكالة الشرق الأوسط بأنه المنطقة ما بين سوريا شمالًا إلى اليمن جنوبًا ومن إيران شرقًا حتى ليبيا غربًا وهذه الدول هي مصر، وليبيا، والكويت، وإيران، والعراق، والإمارات، والبحرين، وقطر، وعمان، وسوريا، والأردن، واليمن، واليمن الجنوبي (قبل الوحدة)، ولبنان، والسعودية، وإسرائيل (حسين، 2013، ص14–15).

- **تعريف دائرة المعارف الأمريكية:**

بالنسبة لدائرة المعارف الأمريكية فإن تعريف الشرق الأوسط المنطقة يشمل تركيا، وقبرص، وإيران، والأردن، والكويت، ولبنان، وإسرائيل وسلطنة عمان، وقطر، والسعودية، والسودان، وسوريا، والبحرين، والإمارات، واليمن.

وهذا التعريف وضعته قوات الحلفاء عند اقتسام أراضي الدولة العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى، وجاءت تسمية الشرق الأوسط بسبب توسطها قارات العالم القديم الثلاث (الرحاحلة، مرجع سبق ذكره، ص23).

- **تعريف الموسوعة البريطانية:**

الأراضي حول السواحل الجنوبية والشرقية للبحر الأبيض المتوسط، والتي تشمل على الأقل شبه الجزيرة العربية، وبحسب بعض التعريفات، إيران وشمال إفريقيا، وأحيانًا ما وراء ذلك.. ولا يزال استخدام مصطلح الشرق الأوسط غير مستقر (الموسوعة البريطانية).

- **تعريف جامعة الدول العربية:**

جاء تعريف هذا المصطلح عند إعداد مشروع معاهدة إخلاء منطقة الشرق الأوسط من أسلحة الدمار الشامل الذي أعدته الأمانة العامة لجامعة الدول العربية بناءً على قرار مجلس الجامعة الذي صدر عام 1993 ونُوقش عام 1995 في دورة الانعقاد رقم 103، إذ جاء في المادة الأولى من الديباجة تعريف الشرق الأوسط بأنه الأقاليم التابعة لسيادة أو سيطرة الدول الأعضاء في الجامعة إلى جانب إسرائيل وإيران (حسين، موقع سبق ذكره، ص17).

ورغم تعدد التعريفات إلا أن هناك اتفاقًا على أن المنطقة الممتدة من مصر إلى الخليج العربي ومن تركيا وإيران إلى المحيط الهندي هي منطقة "دول القلب"، بينما يُطلق على الدول الأخرى "دول الهامش" وهي التي تختلف التعريفات في اعتبارها ضمن نطاق الشرق الأوسط، وهناك رأي آخر يرى أن تقسيم المنطقة إلى قلب وهامش لا ينبغي أن يتم وفقًا للتجاور الجغرافي فحسب بل على أساس كثافة التفاعلات بين الدول (منصور، 2015، ص44).

وتشير الملاحظة إلى أن تلك التسمية التي كانت تستخدم خلال الحربين العالميتين كتعبير جيوسياسي، باتت تستخدم بعد ذلك عند الحديث عن أزمات أو مواضيع مرتبطة بالعالم الإسلامي أو بالمنطقة الممتدة ما بين إيران وتركيا ومصر والمغرب –وأحياناً تمتد الدلالة إلى باكستان– ويتضح ذلك عند ظهور مصطلحات مرتبطة بمشاريع خاصة بالمنطقة مثل "الشرق الأوسط الجديد" الذي طرحه رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق شيمون بيريز في 1995، و"الشرق الأوسط الكبير" الذي طرحه الرئيس الأمريكي الأسبق بوش الابن عام 2004 (حسن، 2015، ص39).

فهذا الاصطلاح سياسي بالأساس شاع استخدامه في المخططات الغربية للدلالة على تلك المنطقة بهدف تجنب استخدام مصطلحات مثل "الشرق الإسلامي" و"الوطن العربي"، تفاديًا لاستثارة النزعة الداعية لإقامة الجامعة الإسلامية أو الوحدة العربية، وقد زادت الحاجة لاستخدام هذا التعبير بعد قيام إسرائيل عام 1948، مما استدعى وصف المنطقة بأنها "شرق أوسطية" بدلًا من استخدام تعبيرات أخرى تعبر عن هوية المنطقة (النابلسي، 2007، ص19).

فالشرق الأوسط في الكتابات الغربية يغلب عليه التنوع والتعدد وليس التماثل والوحدة، فضلًا عن أن التعريفات المختلفة لتلك التسمية يغلب عليها الطابع التحكمي فلا يوجد بينها تعريف واحد استند إلى معيار موضوعي معين في إدخال أو استبعاد الدول من تلك المنطقة، ودائماً ما يتم إدخال دول غير عربية وإخراج دول عربية منها، كما أن شيوع هذا المصطلح يمَكّن من إدخال إسرائيل مثلًا في النسق الشرق أوسطي وهو أمر غير مُمكن في حالة استخدام مصطلح "العالم العربي" (منصور، 2015، ص43).

فهي تسمية غربية بالأساس فقد وُصفت الأراضي التي تبعد عن أوروبا أقصى مسافة في آسيا بـ"الشرق الأقصى" ووصفت المنطقة التي تمتد ما بين الخليج العربي والبحر المتوسط بـ"الشرق الأوسط" لأنها أقرب إلى أوروبا من جهة الشرق (حسن، 2015، ص37)، فالتسمية إذًا نسبية؛ فتلك الرقعة الجغرافية –أو أي رقعة أخرى– تعد شرقًا لما يقع غربها من أراضي، وغربًا لشرقها، فالكتابات الصينية كانت تشير إلى المنطقة العربية ووسط آسيا بكلمة "البلاد الغربية" لأنها تقع إلى الغرب منها (كوثراني، 1995، ص6).

ولا يخفى ما لهذه التسمية من أثر سلبي على الهوية العربية الإسلامية؛ إذ أن استخدام مصطلح الشرق الأوسط أتى على حساب المصطلحات المعبرة عن هوية المنطقة مما من شأنه أن يضعف الشعور بالانتماء العربي والإسلامي، ويوفر مبررًا نظريًا لاستبعاد اعتماد هذه الروابط كمبرر للتعاون بين دول المنطقة لصالح اعتماد معيار جغرافي يضيق ويتسع في تعريفات القوى الغربية ذات التاريخ الاستعماري.

ثانيًا: أهمية الشرق الأوسط بالنسبة لإيران

1- أهمية منطقة الشرق الأوسط بالنسبة لإيران

تحظى إيران جغرافيًا وتاريخيًا بمكانةً سياسية واستراتيجية لا يمكن تجاهلها في منطقة الشرق الأوسط وبالتالي لا يمكن عزل تأثيرها ولا تأثّرها بالمتغيرات الجارية في هذه المنطقة الهامة التي تموج بالتحولات السياسية والأمنية.

ويؤمن القادة الإيرانيون بصفة عامة بأنّ تاريخ دولتهم وموقعها الجغرافي الاستراتيجي، ورأسمالها البشريّ، ومواردها توجّب عليها ممارسة دورٍ مهمٍ في تشكيل الشرق الأوسط لأن المنطقة منعدمة الاستقرار وعرضة لتدخلات القوى الأجنبيّة، فما لمْ تكن دولتهم قادرة على الحفاظ على موقعها القويّ ستعجز عن التصدي للتَدَخُّلات الأجنبيّة، وبالتالي يجب أنّ يكون توازن القوى الإقليمي في صالحها، وإلّا سيكون بقاء الدولة وسلامة أراضيها معرّضيْن للخطر (تاباتاباي، 2019، ص17).

فالدولة الإيرانية عبارة عن نواة محاطة بطوق من الأقليات القومية ذات ميول انفصالية قد تشكل نقاطًا واهية ومناطق اختراق لأعداء محتملين (تويال، 2007، ص62)؛ فعلى سبيل المثال يعيش العرب في الجنوب الغربي على حدود العراق وسواحل الخليج، والأكراد في الغرب على حدود المناطق الكردية في تركيا والعراق، ويقلق النظام الإيراني بشدة من تصاعد الرغبة السياسية لدى تلك الأقليات في الحصول على حقوق معينة مثل تعزيز التعليم المحلي والاستقلال الإداري (Amanat, 2012, p73) خوفًا من تعزيز النزعات الانفصالية بينهم.

ولذلك فإن الدولة باستمرار عرضة للتفكك الداخلي والنزاعات بين الفرس وباقي القوميات والانكشاف أمام التدخل العسكري والثقافي من الخارج، مما أدى إلى تبني فكرة أن الحفاظ على الدولة ذاتها مرتبط بالتوسع الخارجي وتدفع هذه "القومية العدوانية" إيران دفعًا إلى محاولة فرض هيمنتها على جوارها لاسيما في منطقة الخليج مما يضع القوميتين العربية والإيرانية على طريق الصدام المستمر (سعيد، 1987، ص61).

وتجدر الإشارة إلى أنه رغم التغيير الكبير الذي طرأ على الدولة الإيرانية منذ عام 1979 إلا أن ذلك لم يُحدث تغييرًا جذريًا في الطابع الإمبراطوري للتكوين القومي الإيراني فإذا كانت النزعة الإمبراطورية في العهد الملكي تستند إلى التاريخ الفارسي قبل الإسلام فإن ما حدث هو أن نفس تلك

النزعة صارت تستند إلى أيديولوجية دينية عابرة للقوميات يمتد تصور هيمنتها إلى الأقليات الشيعية وراء الحدود مما منحها زخمًا وعنفوانًا أكبر بكثير (سعيد، 1987، ص61).

ووفقًا لنظرية "أم القرى" التي نظَّر لها مساعد وزير الخارجية الأسبق، محمد جواد لاريجاني، فإن طموحات إيران تمتد إلى أبعد من حدودها الجغرافية (لاريجاني، 2012، ص101)، لأنها –وفق النظرية– تستحق قيادة كل الأمة الإسلامية وبناءً على ذلك فإن قائدها له مقامان: الأول مقام القيادة القانونية للجمهورية الإسلامية الإيرانية، والثاني زعامة العالم الإسلامي (لاريجاني، 2012، ص 106).

وروج النظام الإيراني بعد انتصار الثورة لفكرة أن إيران هي "أم القرى" أي قائدة العالم الإسلامي وعلى الأمة واجب صرف الولاء لها وعليها واجب أن تقود العالم الإسلامي (لاريجاني، 2012، ص 102)، وبناءً على ذلك يعتقد قادة إيران أن من حق بلادهم فرض هيمنتها على المنطقة والتدخل في جميع القضايا الإقليمية لأنها لها مصلحة مباشرة فيها باعتبارها قائدة العالم الإسلامي (عباسي، 2018–2019، ص54).

وتنص النظرية على أنه إذا وقع هجوم على الإسلام أو جرى الاعتداء على حقوق المسلمين في أي مكان في العالم فإن إيران تنهض للدفاع، وبما أن الخصوم سيستهدفون الإطاحة بالنظام الديني في طهران في هذه الحالة فإن على كل الأمة الإسلامية واجب الدفاع، وليس –فقط– الشعب الإيراني ومن ناحية أخرى كلما أظهرت الأمة الإسلامية استعدادًا أكثر للدفاع عن إيران فإن الخصوم سيلتزمون ضبط النفس في الهجوم عليها؛ لأنها تحسب حسابًا لأمة كبيرة وليس لعدة ملايين من السكان (لاريجاني، 2012، ص 108).

وقد أدرك منظرو الثورة الإيرانية منذ الأيام الأولى أن حصر الثورة داخل الحدود الإيرانية من شأنه أن يبطئها بل ويدمرها وبناءً على ذلك بدأ قادة النظام الجديد آنذاك في تدريب وإعداد عناصر ثورية من دول عربية مختلفة بهدف تصدير الثورة إلى تلك البلدان، وتولى مصطفى شمران (أول وزير دفاع للجمهورية الإيرانية) مسؤولية الإشراف على هذه المهمة (Rezaei, 2019، p15.) .

ولم تعرف العلاقات بين طهران والعرب بعد عام 1979 شكلًا موحدًا بل تغير شكل العلاقة بين دولة وأخرى ففي حين كانت العلاقات جيدة مع سوريا كانت عدائية مع العراق ومقطوعة مع مصر وهكذا كان لكل دولة حالة مختلفة، فلم يكن هناك موقف عربي موحد من إيران بسبب تباين المصالح بين تلك الدول واختلاف طبيعة مخاوفها من النظام الإيراني، وقد تبدلت العلاقات تأثرًا بالمتغيرات

الإقليمية والدولية (عتريسي، 2012، ص89)، ففي حين كان التوتر سيد الموقف خلال الحرب مع العراق، فإن علاقات طهران بالعواصم العربية شهدت تحسنًا عامًا بعد انتهاء الحرب.

وعلى الرغم من أن التغيرات الإقليمية عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر منحت طهران وضعًا استراتيجيًا فريدًا لم يسبق لها الوصول إليه خلال قرن من الزمان تقريبًا لكنها في نفس الوقت عرضتها لمجموعة من الأخطار التي تهدد سلامتها الإقليمية وتسبب قلقًا كبيرًا لها وسط هذه المنطقة الحرجة فيما بات يُعرف بـ"معضلة الأمن الإيرانية" (عباسي، 2019- 2018، ص50).

وقد صدرت في 4 نوفمبر 2003 وثيقة "إيران في أفق عام 2025"، التي حددت رؤية الدولة حتى عام 2025 في مختلف المجالات، وأصبحت هذه الوثيقة توصف بأنها أهمّ نص بعد الدستور، وقد تحدد الهدف النهائي في هذه الخطة العشرينية بأن تحتل البلاد عام 2025 الموقع الاقتصادي والعلمي والتقني الأول في منطقة جنوب غرب آسيا، وتصبح دولة ملهمة وقدوة في العالم الإسلامي وذات دور مؤثر في العلاقات الدولية (المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016، ص2).

وحددت الخطة العشرينية منافسي إيران الإقليميين وهم أذربيجان، والأردن، وأرمينيا، وإسرائيل، وأفغانستان، والإمارات العربية المتحدة، وأوزبكستان، وباكستان، والبحرين، وتركمانستان، وتركيا، وجورجيا، وسوريا، وطاجيكستان، والعراق، وعمان، وفلسطين، وقطر، وقيرغيزستان، وكازاخستان، والكويت، ولبنان، ومصر، والمملكة العربية السعودية، واليمن (المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016، ص6).

ومع وجود إرث تاريخي موغل في القدم من التوسعات الخارجية فقد طرأت تغيرات على استراتيجية التمدد الجغرافي لحدود الدولة الإيرانية بعد أن كانت تقتصر على استخدام أساليب القوة العسكرية فإنها بسبب التحديات الكبيرة التي فرضها المشهد الجيوبوليتيكي الإقليمي والدولي أصبحت تتبنى مفهوما جيوبوليتيكيًا حديثًا يسمى "الحدود الشفافة" يقوم على استخدام القوة الناعمة لذا تحتل الأيديولوجية مكانة كبيرة في السياسة الخارجية الإيرانية (حسن، 2015، ص166).

وشهدت المنطقة العربية حالة مواجهة بين كتلة سنية وكتلة شيعية بقيادة إيران ضمن نزاع مذهبي وصراع جيوسياسي تستخدم فيه الأخيرة أطرافًا غير رسمية مرتبطة بها أيديولوجيًا في تقويض شرعية الأنظمة في المنطقة، في مشهد شبيه بالحروب الدينية في أوروبا في فترة ما قبل وستفاليا (كيسنجر، 2015، ص146-147).

وكانت طهران بدأت خلال الحرب العراقية الإيرانية اصطناع جماعات من العرب تابعة لها حيث أجرت عملية إعادة تثقيف للأسرى العراقيين الذين ينتمون إلى الطائفة الشيعية وكذلك تواصلت مع شيعة البحرين والكويت لتحريضهم ضد نظم الحكم لديهم والتي كانت تساند بغداد في تلك الحرب التي استمرت لثمان سنوات (بشارة، 2012، ص21)، وطيلة السنوات اللاحقة على الحرب استمرت طهران في استغلال المشتركات الثقافية مع وجود امتدادات مذهبية في دول المنطقة مما ساعد على نشر التشيع والثقافة التي تعد أحد عناصر القوة الناعمة (عباسي، 2019- 2018، ص41).

وتسير الخطة الإيرانية على 3 مراحل: الأولى: الاهتمام بإحياء المذهب الشيعي، والثانية: استخدام كل الوسائل الممكنة من أجل إقامة حكومات تطبق النموذج الإيراني، والثالثة: خضوع هذه الدول إلى النظام الإيراني بشكل مباشر (لاريجاني، 2012، ص109).

وعليه فقد نشطت طهران في استغلال الأقليات الشيعية (خليفة، 2014، ص140)، والتعبئة الإعلامية لشيعة الخليج العربي وإثارتهم على أنظمة الحكم لديهم وأنشأت تنظيمات مسلحة في الدول العربية ووظفتها من أجل خدمة مصالحها الاستراتيجية في المنطقة واستخدامها كأوراق ضغط خلال مفاوضاتها مع الولايات المتحدة والدول الغربية بما يصب في صالحها وقد اتضح هذا الأمر فيما بعد خلال المفاوضات حول البرنامج النووي بين إيران والقوى الكبرى (القزلان، 2015، ص94).

وأولى الإيرانيون كذلك أهمية بالغة إلى الممرات الملاحية الهامة مثل مضيقي هرمز وباب المندب، وفي سبيل ذلك بذلوا مساعي جادة لبسط سيطرتهم عليها سواء بشكل مباشر كما في حالة مضيق هرمز الذي أقدمت إيران على احتلال ثلاث جزر إماراتية فيه منذ عام 1971 وهي طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبو موسى (الخزاعلة، 2014، ص37)، أو عبر الميليشيات التي تمولها كما في حالة جماعة الحوثي التي تدعمها إيران في اليمن وما تمثله هذه الجماعة من تهديد مستمر للملاحة في البحر الأحمر، من أجل التحكم في استقرار الملاحة في هذه المضايق الاستراتيجية المهمة للتجارة الدولية، والتي تُمثل عصبًا أساسيًا للاقتصاد العالمي وتمر عبرها شحنات النفط.

باختصار فإن الاستراتيجية الإيرانية في الشرق الأوسط تسعى إلى تحقيق المصالح الإيرانية العليا عبر العمل على تصدير الثورة إلى دول الجوار وإنشاء تحالف ممتد من إيران حتى جنوب لبنان يطلق عليه "الهلال الشيعي"، من أجل تحقيق هدف استراتيجي وهو ترسيخ مكانة إيران كقوة إقليمية،

والحصول على دور إقليمي مؤثر في الخليج والحفاظ على الخلل القائم في توازن القوة في المنطقة (عباسي، 2019– 2018، ص51).

2– أهمية منطقة الخليج بالنسبة لإيران

تعتبر منطقة الخليج من الطرق البحرية المهمة منذ القدم نظرًا لأهميتها الجغرافية والاستراتيجية فضلًا عن الأهمية الاقتصادية البالغة، والثروات من النفط والغاز الطبيعي، لذا تعد مصدرًا رئيسيًا لتغذية الطاقة على مستوى العالم، وقد كانت منطقة الخليج وما زالت محل تنافس وصراع بين كثير من القوى الإقليمية والدولية نظرًا لما تتمتع به المنطقة من أهمية وموقع استراتيجي لا يضاهى.

وتتطلع إيران إلى أن تصبح القوة الرئيسية في منطقة الخليج العربي نظرًا لامتلاكها أطول سواحل على امتداد الخليج وأكبر عدد من السكان بالإضافة إلى الإمكانيات الاقتصادية الكبيرة فهي تمتلك احتياطي ضخم من البترول وتعتبر نفسها أكبر دولة في المنطقة وبالتالي يجب أن تكون كلمتها مسموعة بها، لكنها تدرك في الوقت نفسه أن عوامل قوتها تلك تقف حائلًا أمام تحالفها مع دول الخليج التي تمتلك مخاوف عميقة من الهيمنة الإيرانية وبالتالي تفضل الاعتماد على دول من خارج المنطقة (إسماعيل، 2010، ص242)، وقد عبر مساعد وزير الخارجية الأسبق، محمد جواد لاريجاني، عن هذه الفكرة بقوله إن "الدولة الأكبر يجب أن يكون لها قول أكبر" (Marshall, 2003, p151.).

وقد حظيت منطقة الخليج العربي بنصيب كبير من التحركات الإيرانية ومثلت مرتكزًا رئيسيًّا للاستراتيجية الإيرانية، وأساسًا تنطلق منه إلى مختلِف الساحات الإقليمية، لأنها تعتبر أن نجاحها في منطقة الخليج يعطيها فرصة للنجاح في المناطق والأقاليم الأخرى، وهي تنطلق من هذه الفرضية لكون منطقة الخليج العربي تمثل نقطة جذب تستقطب كل القوى الإقليمية والدولية للتفاعل معها سياسيًّا وأمنيًّا، كما أن إيران كذلك تعتبر أن هذه المنطقة هي الركيزة الرئيسية لأي تحرك إقليميّ ودوليّ لاحتوائها أو إنهاء دورها (إلياس، 2018، ص21).

لذلك عارضت إيران أية جهود وحدوية لدول منطقة الخليج العربي ولجأت إلى الاستيلاء على الجزر العربية الإماراتية الثلاث طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبو موسى، وأرسلت قواتها العسكرية إلى سلطنة عُمان لقمع الثورة المسلحة التي قامت ضد السلطان قابوس ورفضت الانسحاب منها إلا بعد طلب الولايات المتحدة وبريطانيا (الخزاعلة، 2014، ص37)، وكان ذلك في العهد

الملكي، لكن التطلعات استمرت كما هي في ظل نظام ولاية الفقيه الذي أبقى على احتلال الجزر حتى اليوم.

وبعد انهيار القوة العراقية بعد 2003 انحصر التنافس بين طهران والرياض على مكانة "الدولة المركز" في النسق الإقليمي الفرعي في منطقة الخليج مما دفع كلا الطرفين لتعزيز مكانته في المنطقة (المهدي، 2014، ص154)، وظهر التنافس الإيراني السعودي مدفوعًا بأسباب جيوسياسية وأصبح عاملًا رئيسيًّا في التوترات في المنطقة (Saikal, 2016, p184).

كما استخدمت إيران الطوائف الشيعية في دول الخليج بهدف التأثير على القرار السياسي لتلك الدول كلما دعت الحاجة إلى ذلك، لذا قدمت لهم الدعم وشجعتهم على الاستقرار في هذه البلدان والانخراط في الوظائف العامة والتجارة ونشر دعوتهم مما جعلهم نقطة قوة في أيديها (القزلان، 2015، ص11)، فكانت العلاقات تتحسن بين تلك الأقليات وحكوماتها كلما تحسنت علاقات تلك الأنظمة بطهران والعكس صحيح؛ فعلى سبيل المثال أدى تحسن علاقات الرياض بطهران في التسعينات إلى تهدئة التوترات في المنطقة الشرقية (الأحساء) بالمملكة التي تقطنها أقلية شيعية (القزلان، 2015، ص121).

ويأتي التدخل الإيراني في اليمن ضمن هذا السياق أيضًا فطهران تستغل وجودها في اليمن في دائرة منافستها وصراعها المستتر مع دول الخليج، وتحديدًا المملكة العربية السعودية، فتلجأ إلى خلق مشكلات تهدد استقرار الدول، خاصة مع وجود التجمعات الشيعية في شمال اليمن على الحدود الجنوبية للسعودية، وما يمثله ذلك من مشكلات أمنية عديدة للمملكة، علاوة على أن اليمن تمثل العمق الديموغرافي والجغرافي لدول ومجتمعات دول الخليج العربي.

3- أهمية منطقة الهلال الخصيب بالنسبة لإيران

يُطلق مصطلح "الهلال الخصيب" على المنطقة التي تشمل العراق وسوريا ولبنان والأردن وفلسطين، وقد صاغ المصطلح ونشره جيمس هنري برستد (1865-1935) ، وهو أكاديمي بجامعة شيكاغو، استخدم المصطلح لوصف المنطقة الممتدة على شكل نصف دائرة تقريبًا جانبها المفتوح باتجاه الجنوب، طرفها الشرقي في الطرف الشمالي للخليج، وطرفها الغربي عند الركن الجنوبي الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، وفي الوسط شمال شبه الجزيرة العربية (Henry, 1916, P101)، وبذلك

يشكل العراق النصف الشرقي من الهلال الخصيب، أما النصف الغربي فهو بلاد الشام (ياغي وشاكر، 1980، ص181).

وقد ارتبطت عدة مصطلحات أخرى بهذه المنطقة مثل مصطلح "سوريا الكبرى" الذي كان عنوانًا لعدد من المشاريع السياسية الوحدوية التي اختلفت فيما بينها سعةً وضيقًا في تحديد المساحة الجغرافية التي يشملها هذا المصطلح.

ونالت هذه المنطقة اهتمامًا كبيرًا في السياسة الخارجية الإيرانية منذ القدم فقد كانت مجالًا لتوسع الإمبراطوريات الفارسية القديمة، كما نالت اهتمامًا في العصر الحديث للأسباب التالية:

4- الأسباب الاستراتيجية والسياسية

تهدف إيران من توسيع مناطق نفوذها في دول الهلال الخصيب إلى فتح طريق يوفر لها منفذًا على السواحل الشرقية للبحر المتوسط ويضمن لها عمقًا استراتيجيًا كبيرًا، ضمن استراتيجية كبرى تستهدف تأسيس قواعد ارتكاز داخل المنطقة، مما يترتب عليه تجنب التعرض المباشر للعدو لحظة اندلاع أية نزاعات مستقبلية، وهذا الأمر لم يتحقق دفعة واحدة أو بين عشية وضحاها، بل استفادت طهران بصورة هادئة ومرحلية من المتغيرات الإقليمية والدولية للتفرغ بهدف بناء هذا المجال على مراحل متعددة من خلال تداخلها وتفاعلها مع مداخل الأزمات الإقليمية الموجودة في المنطقة، ومستفيدة في ذات الوقت من الظروف الدولية التي باتت تستهدف الإسلام السني (لاريجاني، 2012، هامش ص70:71).

وأقامت طهران ببراعة إمبراطورية عسكرية بعد حداثية هي الأولى من نوعها إذ لم تحتج إلى دبابات ولا مدرعات ولا حاملات طائرات لإقامتها بل إنه بدلًا من السلوك الإمبريالي النمطي المتمثل في الغزو والاحتلال فإن إيران أضحت قوة كبرى في منطقة الشرق الأوسط بفضل وجود استراتيجية ذات ثلاث أبعاد هي الحرب بالوكالة، والأسلحة غير المتماثلة، وكسب تعاطف الأقليات التي تشعر بالاضطهاد (كابلان، 2015، ص333-334)، مما أتاح لها تأسيس منظومة من الحلفاء تسمح لها بإحداث أكبر قدر من التأثير بأقل تكلفة ممكنة، نظرًا لعدم امتلاكها قوة عسكرية يمكن الاعتماد عليها لتحقيق هدف الهيمنة.

ومارست هذه الاستراتيجية ببراعة عبر توظيف الأزمات العراقية والسورية واللبنانية والفلسطينية، كأسباب لتحقيق هذا الهدف، بدون أن تتورط في مواجهة مباشرة وفقًا لتوجهات السياسة

الخارجية الإيرانية التي ترى أن أفضل وسيلة لتحقيق الهدف هو الاعتماد على حروب الوكالة وإبعاد الخطر عن أراضيها وحدودها الجغرافية (لاريجاني، 2012، هامش ص46)، كما أن الأزمة الأوكرانية منحت إيران نفوذًا أكبر في سوريا نتيجة انشغال الجيش الروسي بالتوغل في أوكرانيا مما ترك مجالا كبيرا لإيران لتملأ الفراغ الروسي الجزئي.

واستفادت إيران من غياب الدور العربي الاستراتيجي في المنطقة، مما أهّلها لاستغلال ذلك بعد الاحتلال الأمريكي للعراق، ولتمد نفوذها من خلال المكون الطائفي في العراق، فقد أدى سقوط العراق وبروز الطائفة الشيعية فيه إلى جعل طهران طرفًا فعالًا وأساسيًا في المجريات السياسية اليومية في المنطقة الممتدة من الحدود الإيرانية الغربية وحتى جنوب لبنان حيث تتمركز قوات حزب الله، وترتبط دمشق مع طهران بعلاقة تحالف (القزلان، 2015، ص126).

وتجدر الإشارة إلى أنه تم تطوير استراتيجية الوجود العسكري الإيراني في المنطقة، عبر نقل النشاطات الحربية إلى الدول الأخرى، وتجاوز تجنيد العملاء إلى تكوين آلية عسكرية غير إيرانية، مع قيادات محلية تعمل تحت توجيه طهران، لتحقيق استراتيجيتها في المنطقة، وأيضًا سعت إلى التمدّد الإقليمي في الدول التي تهم إيران آيديولوجيًا، وبها قاعدة جماهيرية شيعية كالعراق وسوريا (إلياس، 2018، ص65).

كما أن نجاح طهران في نشر نفوذها في دول الهلال الخصيب يمنحها أدوات عظيمة للتأثير على القرار السياسي في عواصم تلك الدول وجرها إلى المحور الداعم للسياسات الإيرانية مما ينعكس بشكل إيجابي على تثبيت وتقوية نظام الحكم في إيران، فعلى سبيل المثال؛ يمثل العراق أهمية خاصة بالنسبة لإيران لأسباب عديدة منها البعد الديني لاحتوائه على مدينة النجف التي تضم أهم مرجعية شيعية في العالم والتي كان لقادتها تأثير كبير على الأوضاع السياسية داخل إيران وتمكنت مرارًا من تهديد السلطة السياسية بها وكان هذا من أسباب السعي الإيراني الدائم للسيطرة على تلك المرجعية واحتوائها إذ لا تؤثر هذه المرجعية في إيران فقط بل في الأقليات الشيعية في دول الخليج أيضًا(القصاب، 2012، ص158).

وكان العراق بالطبع هو الجسر البري الذي يربط إيران بدول الهلال الخصيب، وقد صرح مستشار الرئيس الإيراني للشؤون الدينية والأقليات، علي يونسي، عام 2015 بأن بلاده عادت لتصبح إمبراطورية من جديد، مؤكدًا أن "جغرافية إيران والعراق غير قابلة للتجزئة وثقافتنا غير قابلة للتفكيك،

لذا علينا أن نقاتل معا أو نتحد.. إيران أصبحت إمبراطورية كما كانت سابقًا وعاصمتها بغداد، وهي مركز حضارتنا وثقافتنا وهويتنا اليوم كما كانت عبر التاريخ.. العراق ليس جزءًا من نفوذنا الثقافي فحسب، بل من هويتنا.. وهو عاصمتنا اليوم" ("روسيا اليوم"، 9 مارس 2015).

وينتهي هذا الطريق عبر الهلال الخصيب بلبنان الذي يتمتع بأهمية استراتيجية خاصة بالنسبة لإيران لأسباب عدة؛ فهو يمتلك حدودًا مع فلسطين ويضم أقلية شيعية ويمنح إيران إمكانية الوصول إلى البحر الأبيض المتوسط لأغراض اقتصادية وجيوسياسية مختلفة، لذا أسست طهران حزب الله اللبناني عام 1982 بعد الغزو الإسرائيلي للبنان في ذلك العام، عبر نشر قوة صغيرة من وحدات الحرس الثوري الإيراني في الأراضي اللبنانية، وقد عزز الانسحاب الإسرائيلي من جنوب لبنان عام 2000 من مكانة الحزب في هذا البلد إذ أصبح رمزًا للمقاومة، واستطاع أن يكون قوة سياسية فاعلة لها وزنها في بيروت (Venetis, 2011,p21).

ونجحت طهران في تثبيت نفوذها في دول الهلال الخصيب تدريجيًا، وأعلن نائب القائد العام لقوات حرس الثورة الإيرانية، حسين سلامي، عام 2013 عن تم توسيع نطاق حدود البلاد الأمنية لتصل إلى شرق البحر الأبيض المتوسط، وأن العقبات التي تضعها القوى الغربية في طريق بلاده لم تستطع إيقاف تقدمها ("الأهرام" المصرية، 4 مايو 2013).

5- الأسباب الديموغرافية

يعادل "الهلال الشيعي" الذي حذر منه الملك الأردني عبد الله الثاني بن الحسين عام 2004، جغرافيًا منطقة الهلال الخصيب وتضم تلك المنطقة حشدًا ضخمًا من الأقليات ولذلك ليس أمام إيران سوى تلك المنطقة لإحداث تغيير جذري في التوازن الجيوبوليتيكي في الشرق الأوسط واختراق الكتلة العربية السنية سياسيًا وديموغرافيًا ومذهبيًا واقتلاع نفوذها عبر استغلال الأقليات لإحداث توازن بين مجموع تلك الفئات وبين الكتلة العربية السنية (خليفة، 2014، ص26)، فهناك 59 أقلية منها 26 أقلية مذهبية، و17 إثنية، و 16 أقلية لغوية تعيش كلها في تلك المساحة (خليفة، 2014، ص52).

ولهذا تعمل طهران على إحداث تعديلات ديموغرافية تسمح بإقامة مناطق متماسكة طائفيًا تربط العراق بسوريا ولبنان وفي سبيل ذلك وقعت عمليات تهجير قسري وصفقات للتبادل السكاني بين مناطق مختلفة وتم جلب مهاجرين شيعة إلى مناطق سنية في سوريا وتم توطينهم بها لتغيير الطبيعة

الديموغرافية للمناطق المستهدفة كما مُنع السكان الأصليون من العودة إلى ديارهم (Chulov, 14 Jan 2017).

6- الأسباب الاقتصادية

تسعى طهران للاستفادة من الموارد القادمة من الأقليات الشيعية في دول الهلال الإقليمي وإمكاناتها المختلفة، وتدوير هذه الموارد لدعم جهود تشييع تلك الشعوب، ومن هنا فإن إحدى أهم اهتمامات دولة القلب المذهبي الشيعي هو السيطرة على موارد إضافية جديدة من دول الهلال الإقليمي التي دخلت فعليًا ضمن مجالها الحيوي المذهبي، لذا نجد المحاولات الإيرانية لصياغة حركة اقتصادية فعالة بين مركز دولة القلب المذهبي الشيعي والجيوب الشيعية ليكون العراق أول خطوط الإمداد، ويمثل أيضًا أقوى المصدات حول دولة القلب المذهبي (لاريجاني، 2012، هامش ص70).

ولطالما كانت طهران تعتبر العراق شريكًا اقتصاديًا حيويًا، وتتطلع إلى سوقه؛ فالقرب الجغرافي يضمن انخفاض تكلفة النقل للتجارة الثنائية، وبعد سقوط نظام صدام عام 2003 تم تعزيز العلاقات التجارية الثنائية بطريقة غير مسبوقة، ووقعت الدولتان اتفاقيات تجارية أدت لزيادة كبيرة في الصادرات الإيرانية إلى العراق الذي يعد أهم سوق غير نفطي لطهران بما في ذلك مواد البناء والبتروكيماويات والمعدات الطبية والصناعية، وعلى النقيض من ذلك جاءت صادرات العراق إلى إيران قليلة جدًا وأغلبها مواد خام (Venetis, 2011, p24.)، وفي سوريا أيضا غزت الشركات الإيرانية اقتصادها خلال الفترة الأخيرة (Tasnim News Agency, December, 04, 2021).

ومؤخرًا تحولت عدة مناطق من العالم العربي إلى ساحات نفوذ إيرانية بما يشمله ذلك من مظاهر للنفوذ في المجالات الأمنية والسياسية والاقتصادية ازدهرت بعد الاحتلال الأميركي للعراق وأسهم ذلك في توقيع العديد من الاتفاقيات الاقتصادية كحق التنقيب عن النفط وتدشين استثمارات إيرانية (المقداد، 2013 ص462).

وبجانب العلاقات التجارية والاستثمارات فإن المكاسب الاقتصادية لإيران تشمل أيضًا الاستفادة من الموقع الاستراتيجي لتلك الدول في التصدير للدول الأخرى، فطهران تهدف إلى تصدير غازها الطبيعي إلى أوروبا باستخدام خط أنابيب يمر عبر العراق وسوريا، وقد وقعت مع الدولتين في يوليو 2011 اتفاقية ثلاثية لمد أنبوب غاز بطول خمسة آلاف وستمائة كيلومتر لنقل 110 ملايين متر مكعب من الغاز الإيراني يوميا عبر العراق وسوريا إلى البحر الأبيض المتوسط ثم إلى أوروبا

(بي بي سي، 25 يوليو2011)، ومما لا يخفى أن السيطرة على هذه المنطقة تمنح القوة المسيطرة عليها القدرة على المساهمة في تحديد صورة خريطة الطاقة الإقليمية.

الخاتمة

تعرض هذا البحث لدراسة محددات وأهداف السياسة الخارجية الإيرانية في الشرق الأوسط، وفيه تم التطرق أولًا إلى تعريف مصطلح الشرق الأوسط ودلالاته، ثم توضيح أهمية هذه المنطقة بالنسبة إلى إيران وموقعها من سياستها الخارجية.

وقد رصدنا كيف أن منطقة الشرق الأوسط احتلت أهمية كبرى في السياسة الخارجية الإيرانية وذلك لعوامل عديدة سياسية واستراتيجية واقتصادية وثقافية؛ فقد جعلت الجغرافيا إيران مؤثرًا ومتأثرًا بسائر المنطقة وشكلت هذه البقعة الجغرافية الشاسعة مسرحًا دائمًا لعمل السياسة الخارجية الإيرانية وموطئًا للمشروع الإيراني الذي ظهر جليًا كأوضح ما يكون في عهد الجمهورية التي أعلنت عام 1979 وارتبطت المنطقة بمخططات ومشروعات خارجية إيرانية عديدة.

وكانت منطقة الخليج العربي من أهم هذه المناطق نظرًا لجوارها لإيران وملاصقتها لها وكانت أولى المناطق تأثرًا بالسياسة الخارجية الإيرانية واحتلت أهمية كبرى لدى صناع القرار في طهران مقارنة بغيرها من المناطق.

كما احتلت منطقة الهلال الخصيب أهمية كبرى أيضًا في مشروعات إيران التوسعية خاصةً الدول الثلاث: العراق وسوريا ولبنان وهي الدول التي تمثل الطريق البري من إيران إلى سواحل شرق البحر الأبيض المتوسط، وقد ارتبط بهذا الطريق مشروعات عديدة استهدفت خدمة المصلحة القومية الإيرانية عبر دعم هذا المشروع الإقليمي العابر للحدود الذي وضعه قادة الجمهورية الإيرانية، وغني عن البيان أن للقرب الجغرافي أثرًا كبيرًا في ذلك؛ فقد نال العراق نصيب الأسد من التدخلات الإيرانية مقارنة بغيره من الدول الأخرى في المنطقة.

وكما مر بنا خلال هذه الدراسة، لم يتراجع النظام الإيراني في عهد الجمهورية الدينية عن مشروعه الإقليمي، فلم يكن التوسع الخارجي رهنًا بوجود رئيس له توجه معين، أو معتمدًا على صعود تيار سياسي ما داخل أروقة السلطة، بل ظلت الدولة الإيرانية تتابع عملها في السياسة الخارجية وفق نهج عام لا يتغير مرتبط بحسابات القوة والمصلحة القومية وفق تصور صانع القرار الخارجي، وظلت

إيران كدولة صاحبة مشروع إقليمي تتحين الفرص لبسط نفوذها وفق مخططات مدروسة معدة مسبقًا ومتفق عليها.

ومن خلال استعراض سيرورة السلوك الخارجي الإيراني في الإقليم، يظهر لنا أن السياسة الخارجية الإيرانية تسير وفق مخططات طويلة المدى يصل أجلها لعشرات السنين، ولا تعتمد على سياسة رد الفعل، وإنما تظل أجزاء من تلك الخطط دون تنفيذ انتظارًا لقدوم الظرف الخارجي المواتي لتطبيقها ووضعها موضع التنفيذ، مثل التدخل الإيراني في العراق بعد إسقاط نظامه إبان الغزو الأمريكي عام 2003، والتدخل في سوريا الذي بدأ عام 2011 معتمدًا على الروابط الكبيرة والقديمة بين دمشق وطهران، وهكذا سارت السياسة الخارجية الإيرانية وفق النظريات التي أصلت للتدخل في شئون دول الجوار كنظرية أم القرى التي تمثل المبرر النظري لهذا السلوك الاستعماري.

وتشير الملاحظة إلى اتباع إيران سياستين متناقضتين ظاهريًا؛ فبينما وقفت موقف المعارضة لأي جهود وحدوية لدول منطقة الخليج العربي، وساهمت في انقسام دول الهلال الخصيب، فإنها عملت في الوقت نفسه بكل قوة على جمع شتات هذه الدول وضمها في منظومة تعاون شامل، كما حاولت الضغط على دول الخليج العربي الست للانضواء تحت صيغة تعاون تضم إيران، وفي الحقيقة لا يمثل ذلك أي تناقض إذا تم رؤيته من منظور المصلحة القومية الإيرانية؛ فطالما كان تجمع هذه المجموعة من الدول أو تلك يضمن لإيران التأثير عليها ففي هذه الحالة تحصل على تأييد ودعم إيراني قوي، وإن كان تجمع هذه الدول يستبعد إيران ويقف ضد أطماعها التوسعية مثل تجمع دول مجلس التعاون الخليجي فلا غرابة حينئذٍ أن تقف منه إيران موقفًا سلبيًا لكونه يناقض مصالحها المرتبطة بمشروعها الإقليمي.

وبناءً على تحليل السلوك الإيراني في الإقليم نلاحظ تغير أولويات السياسة الخارجية الإيرانية في المنطقة فقد زاد الاهتمام في الفترة الأخيرة بمنطقة الهلال الخصيب نتيجة تغير الظروف الإقليمية في تلك الدول بما يجعل الاهتمام بها أجدر بتحقيق أهداف السياسة الخارجية الإيرانية فارتفعت أهميتها في سلم الأولويات المرحلية دون أن يؤثر ذلك على بقاء المحددات والأهداف العامة ثابتة.

وعليه، فيمكننا توقع استمرار السلوك الخارجي الإيراني في ظل بقاء المعطيات الداخلية الحالية في إيران، نظرا لثبات أهداف ومحددات السياسة الخارجية الإيرانية فيما يتعلق بمنطقة الشرق

الأوسط، فهي سياسة فوق رئاسية؛ أي لا تتغير بتغير رؤساء الجمهورية، بل مرتبطة ببنية النظام الإيراني نفسه.

بناءً على ما سبق يمكن استخلاص النتائج التالية

أولًا: استخدام مصطلح الشرق الأوسط ذي الأصل الغربي جاء لأهداف سياسية، إذ غلب على التعريفات المختلفة لتلك التسمية الطابع التحكمي فلا يوجد بينها تعريف واحد استند إلى معيار موضوعي معين في احتساب الدول ضمن تلك المنطقة، ودائمًا ما يتم إدخال دول غير عربية وإخراج دول عربية منها، وهو أمر غير مُمكن في حالة استخدام مصطلح "العالم العربي" على سبيل المثال، لذا ساهم هذا المصطلح في الإضرار بالهوية التقليدية للمنطقة والتعتيم على خصوصيتها الثقافية.

ثانيًا: تنظر إيران إلى جوارها العربي في منطقة الشرق الأوسط في إطار منظورها الاستراتيجي للمجال الحيوي.

ثالثًا: تستخدم إيران في تنفيذ سياستها الخارجية في المنطقة أدوات التدخل المختلفة العسكرية، والاقتصادية، والسياسية، والثقافية.

رابعًا: يشكل السلوك الإقليمي الإيراني تهديدًا خطيرًا متعدد الأبعاد على أمن دول المنطقة ككل، وإن تفاوت تأثيره ما بين دولة وأخرى.

خامسًا: أظهر نجاح إيران في بناء نفوذ كبير في العراق وسوريا ولبنان مدى عمق تأثير نظرية أم القرى على السياسة الخارجية الإيرانية، وهي نظرية مفادها ترسيخ قيادة إيران للعالم الإسلامي وتسخير ثروات هذه الدول لصالح المشروع الإيراني.

سادسًا: تعددت الأسباب التي جعلت إيران تولي اهتمامًا خاصًا لمنطقتي الخليج العربي والهلال الخصيب، ما بين أسباب استراتيجية وسياسية واقتصادية وديموغرافية، وقد جعل القرب الجغرافي لهاتين المنطقتين أولوية على بقية المناطق في الاستراتيجية الإقليمية الإيرانية.

قائمة المراجع

أولا: المراجع العربية:

- **الكتب:**

1- إسماعيل، محمد صادق، **من الشاه إلى نجاد.. إيران إلى أين؟**، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 2010.

2- القصاب، عبد الوهاب، **العرب وإيران مراجعة في التاريخ والسياسة**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ط1، بيروت، 2012.

3- **المقداد، محمد أحمد، تأثير المتغيرات الداخلية والخارجية الايرانية على توجهات إيران الاقليمية (العلاقات الإيرانية – العربية: حالة دراسة)**، دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلّد 40، العدد 2، الجامعة الأردنية، 2013.

4- النابلسي، محمد أحمد، **أوهام مشروع الشرق الأوسط الكبير**، دار الفكر العربي، دمشق، 2007.

5- إلياس، فراس، **مركزية العراق في العقل الاستراتيجي الإيراني**، مركز الخليج العربي للدراسات الإيرانية ط1، الرياض، 2018.

6- بشارة، عزمي، **العرب وإيران مراجعة في التاريخ والسياسة**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ط1، بيروت، 2012.

7- تاباتاباي، آريان م.، **النقاش حول الأمن القومي في إيران**، مؤسسة راند، الولايات المتحدة، 2019.

8- تويال، فرنسوا، **الشيعة في العالم صحوة المستبعدين واستراتيجيتهم**، ترجمة نسيب عون، دار الفارابي بيروت ط1، 2007.

9- حسن، عمر كامل، **المجالات الحيوية الشرق أوسطية في الاستراتيجية الإيرانية**، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2015.

10-حسين، سهرة قاسم محمد، **الصعود الصيني وتأثيره على الهيمنة الأمريكية في الشرق الأوسط 2001 – 2009**، مكتبة جزيرة الورد، 2013.

11-خليفة، نبيل، **استهداف أهل السنة**، مركز بيبلوس للدراسات، جبيل، لبنان،2014.

12-سعيد، عبد المنعم، **العرب ودول الجوار الجغرافي**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1987.

13-عتريسي، طلال، **العرب وإيران مراجعة في التاريخ والسياسة**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ط1، بيروت، 2012.

14-عطية، صدام مرير حمد، **الصراع الدولي والإقليمي في الشرق الأوسط وأثره على المنطقة العربية: أنموذج ثورات الربيع العربي**، مجلة تكريت للعلوم السياسية، العدد 11، 2017.

15-كابلان، روبرت، **انتقام الجغرافيا**، ترجمة: إيهاب عبد الرحيم علي، عالم المعرفة، الكويت، 2015.

16-كوثراني، وجيه، **الشرق أوسطية والتطبيع الثقافي مع إسرائيل البعد التاريخي وإشكالات راهنة**، مجلة الدراسات الفلسطينية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ع 32، 1995.

17-كيسنجر، هنري، **النظام العالمي**، ترجمة فاضل جتكر، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠١٥.

18-لاريجاني، محمد جواد، **مقولات في الاستراتيجية الوطنية "شرح نظرية أم القرى الشيعية"**، ترجمة وتحليل: نبيل العتوم، دار الدراسات العلمية للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، 2012.

19-منصور، ممدوح، **الصراع الأمريكي السوفيتي في الشرق الأوسط**، مدبولي، القاهرة، ١٩٩٥.

20-وحدة تحليل السياسات، دراسة حالة بعنوان "**إيران في أفق عام** 2025"، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 1 مايو 2016.

21-ياغي، إسماعيل أحمد ومحمود شاكر، **تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر: قارة آسيا: الجزء الأول ط1**، العبيكان، الرياض، 1980.

- **الرسائل العلمية:**

1- الخزاعلة، نمر فهد أحمد، **السياسة الخارجية الإيرانية تجاه دول مجلس التعاون الخليجي العربي 2007-2016**، جامعة آل البيت، الأردن، رسالة ماجستير، 2014.

2- الرحاحلة، أحمد سليمان سالم، **الدور التركي الجديد في منطقة الشرق الأوسط "الفرص والتحديات"**، رسالة ماجستير، قسم العلوم السياسية- كلية الآداب والعلوم جامعة الشرق الأوسط، الأردن، 2014.

3- العدوان، طايل يوسف عبد الله، **الاستراتيجية الإقليمية لكل من تركيا وإيران نحو الشرق الأوسط 2002-2013**، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم- جامعة الشرق الأوسط، الأردن.

4- القزلان، أنس بن صالح عبد الله، **تحليل استراتيجي للسياسة الإيرانية في المنطقة العربية**، كلية العلوم الاستراتيجية- جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، رسالة ماجستير، الرياض، 2015.

5- المهدي، شنين محمد، **السياسة الخارجية الإيرانية تجاه دول المشرق العربي (2001-2013)**، رسالة ماجستير، كلية الحقوق والعلوم السياسية- جامعة محمد خيضر، الجزائر، 2014.

6- عباسي، كريمة، **التفكير الاستراتيجي الإيراني في ظل التهديدات اللاامتماثلة في فترة ما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001**، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق والعلوم السياسية- ج لحاج لخضر، الجزائر، 2018-2019.

- **مواقع الإنترنت:**

1- "اتفاق ايراني عراقي سوري لمد انبوب لنقل الغاز الى المتوسط"، بي بي سي، 25 يوليو 2011، (تم الاطلاع عليه بتاريخ 8 يناير 2022)، متاح على الرابط:
https://www.bbc.com/arabic/business/2011/07/110724_iraq_iran_syria_gas

2- الموسوعة البريطانية، (تم الاطلاع عليه بتاريخ 22 نوفمبر 2021)، متاح على الرابط:
https://www.britannica.com/place/Middle-East

3- "مستشار روحاني: إيران إمبراطورية عاصمتها بغداد"، روسيا اليوم، 9مارس 2015، (تم الاطلاع عليه بتاريخ 16 يوليو 2023)، متاح على الرابط:
https://arabic.rt.com/news/776404-%D8%B1%D9%88%D8%AD%D8%A7%D9%86%D9%8A-%D8%A5%D9%8A%D8%B1%D8%A7%D9%86-%D8%A5%D9%85%D8%A8%D8%B1%D8%A7%D8%B7%D9%88%D8

%B1%D9%8A%D8%A9-
/%D8%A8%D8%BA%D8%AF%D8%A7%D8%AF

4- مسئول عسكري: إيران توسع حدودها الأمنية إلى شرق البحر المتوسط "الأهرام" المصرية بتاريخ 4 مايو 2013، (تم الاطلاع عليه بتاريخ 6 مارس 2023)، متاح على الرابط:
https://gate.ahram.org.eg/News/341907.aspx

ثانيًا: المراجع الأجنبية:

- **BOOKS:**

1- Amanat, Abbas and Vejdani, Farzin, **Iran Facing Others**, Palgrave Macmillan, New York, 2012.
2- Henry, James, Breasted, **Ancient Times: A History of the Early World**, Ginn, US, 1916.
3- Saikal, Amin, The Arab world and Iran, Center for Middle East Studies, University of Denver Highlands Ranch, Colorado, USA, 2016.
4- Marshall, Christian, **Iran's Persian Gulf Policy: From Khomeini to Khatami**, Routledge, New York, 2003.
5- Rezaei, Farhad, **Iran’s foreign policy after the nuclear agreement**, palgrave Macmillan, Switzerland, 2019.
6- Venetis, Evangelos, **"The Rising power of Iran in the Middle East: Forming an axis with Iraq, Syria and Lebanon"**, University of Leiden, the Netherlands, Middle Eastern Studies Programme, Working Paper No 21, July 2011.
7- yilmaz, Huseyin, **Is There a Middle East?: The Evolution of a Geopolitical Concept**, Stanford University Press, Stanford, California, 2012..

- **WEBSITES:**

1- Chulov, Martin, **Iran repopulates Syria with Shia Muslims to help tighten regime's control**, The Guardian, 14 Jan 2017, (accessed on January 7, 2022), in:
https://www.theguardian.com/world/2017/jan/13/irans-syria-project-pushing-population-shifts-to-increase-influence

2- **Syria’s New Investment Law Opens New Doors to Iranian Companies**: Minister, Tasnim News Agency, December 04, 2021, (accessed on January 7, 2022), in:
https://www.tasnimnews.com/en/news/2021/12/04/2619586/syria-s-new-investment-law-opens-new-doors-to-iranian-companies-minister